كما حدث أيضاً أن الدعوات الهابطة التي استغلت وجود عاطفة الجنس في الكيان البشري ، أن قادت البشرية كلها تقريباً إلى هذه البؤرة النتنة ليخلو لها الجو في التسلل إلى مراكز القيادة والسيطرة على مصائر البشر في هذا العصر الذي سمي بـ (الحديث) .

ولا يعني هذا عندنا تحريم مشاعر الجنس ، بل هي مشاعر ذات وجود أصيل في الطبيعة البشرية ، ولا يعني أننا ضد إعطاء مساحة طبيعية من مساحات الفن والأدب لتصوير النزوع إلى هذه الغريزة ، ولكننا ضد صم الآذان وغلق العيون عن كل العواطف والغرائز التي جبل عليها الإنسان . والضرب على وتر الجنس وحده ، فلا يرى غيره محركاً لمشاعر الإنسان ونشاطاته في مجالات الحياة كافة . ونظرة واحدة إلى الطريقة القرآنية في عرض هذه المشاعر تنبئك بأن الدين لا يحرم تصوير هذه المشاعر ، ولكنه يسوق التصوير إلى هدف سام يبدو فيه الإنسان كما كرّمه الله على كثير من خلقه تكريماً . فقد صور القرآن الأحاسيس الهابطة لدى امرأة العزيز ، وعرض للنار المسعورة التي تتأجج في داخلها . والإحساس الجنسي الغائر في كيانها ، ولكنه انتهى بهذه الأحاسيس إلى الشعور بالسمو والانتصار على الذات في شخصية البطل) والشعور بالندم والاعتراف في شخصية (البطلة) ، وانتهى المطاف بنا إلى أننا إزاء تصوير لظاهرة من ظواهر الإنحراف في العواطف البشرية (٤) .

والغريب في الأمر أن تلك الدعوات الهابطة تدّعي (الواقعية) !! .

ولو كانت كذلك لصورت حقيقة الكيان البشري بواقعيته الحقة ، على أنه مزيج من عواطف الحقد والكره والحب والخوف والرجاء والأمل والحزن.وهو حين يتحرك في مطاف الحياة لا يتحرك بتسيير من عامل واحد من هذه العوامل العاطفية ، بل يتحرك بكيانه كله ، بل كثيراً ماتتنازع هذه العواطف كلها في لحظة واحدة من لحظات تفاعله مع مفردات الحياة العملية،مع الذات ومع الآخرين ، هذه هي الواقعية التي تحرك الشخوص الأدبية في الأدب الإسلامي،فلاتغلو في عاطفة ، لاتبتسر حق عاطفة ، ولاتوظف عاطفة أو غريزة لأهداف أرضية آنية .